والحفيظ : فعيل بمعنى فاعل أي حافظ وتختلف معانيه ومرجعها إلى رعاية الشيء والعناية به : ويكثر أن يستعمل كناية عن مراقبة أحوال المرقوب وأعماله وباختلاف معانيه تختلف تعديته بنفسه أو بحرف جر يناسب المعنى وقد عدي هنا بحرف (على) كما يعدى الوكيل لأنه بمعناه .

والوكيل فعيل بمعنى مفعول وهو الموكول إليه عمل في شيء أو اقتضاء حق . يقال : وكله على كذا ومنه الوكالة في التصرفات المالية والمخاصمة ويكثر أن يستعمل كناية عن مراقبة أحوال الموكل عليه وأعماله . وقد استعمل (حفيظ) و (وكيل) هنا في استعمالهما الكنائي عن متقارب المعنى فلذلك قد يفسر أهل اللغة أحد هذين اللفظين بما يقرب من تفسير اللفظ الآخر كتفسير المرادف بمرادفه وذلك تسامح .

(وكل) و (حفظ) مادتي أصل إلى بهما يرجع أن اللفظين بين التفرقة يريد من فعلى A E فمادة (حفظ) تقتضي قيام الحدث بفاعل وتعديته إلى مفعول ومادة (وكل) تقتضي قيام الحدث بفاعل وتعديته إلى مفعول وتجاوزه من ذلك المفعول إلى شيء آخر وهو متعلق به وبذلك كان فعل (حفظ) مفيدا بمجرد ذكر فاعله ومفعوله دون احتياج إلى متعلق آخر بخلاف فعل (وكل) فإفادته متوقفة على ذكر أو على تقدير ما يدل على شيء آخر زائد على المفعول ومن علائقه فلذلك أوثر وصف (حفيظ) هنا بالإسناد إلى اسم الجلالة لأن ا جل عن أن يكلفه غيره حفظ شيء فهو فاعل الحفظ وأوثر وصف (وكيل) بالإسناد إلى ضمير النبي A لأن المقصود أن ا لم يكلفه بأكثر من التبليغ والمعنى : ا رقيب عليهم لا أنت وما أنت بموكل من ا على جبرهم على الإيمان . وفي معناه قوله في آخر هذه السورة (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ) .

وأيضا هي كالبيان لما في جملة (يكاد السماوات يتفطرن) لأن من أسباب مقاربة تفطرهن كثرة ما فيهن من الملائكة .

ولولا أنها أريد منها زيادة تقرير معنى جملة (وهو العلي العظيم) لكانت جديرة بأن تفصل ولكن رجح العطف لأجل الاهتمام بتقرير العلو والعظمة تعالى . وأما التبيين فيحصل بمجرد تعقيب جملة (يكاد السماوات يتفطرن) بها كما علمته آنفا .

فقوله (الملائكة) مبتدأ وجملة (يسبحون) خبر والمقصود الإعلام بجلال ا .

وتسبيح الملائكة بحمد ا : خضوع لعظمته وعلوه والتسبيح التنزيه عن النقائص .

فتسبيح الملائكة قد يكون عبارة عن إدراكهم عظمة ا تعالى فهو : انفعال روحاني كقوله

تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة) وقد يكون دلالة على التنزيه بما يناسب الملائكة من ظواهر الانفعال بالطاعة أو من كلام مناسب للحالة الملكية وكذلك حمدهم ربهم واستغفارهم لمن في الأرض .

ومفعول (يسبحون) محذوف دل عليه مصاحبته (بحمد ربهم) تقديره : يسبحون ربهم والباء للمصاحبة أي يسبحون تسبيحا مصاحبا لحمدهم ربهم أي الثناء عليه بصفاته الكمالية ومن الثناء ما هو شكر على نعمه عليهم وعلى غيرهم فالمعنى : يسبحون ا ويحمدونه .

وهذا تعريض بالمشركين إذ أعرضوا عن تسبيح ربهم وحمده وشغلوا بتحميد الأصنام التي لا نعمة لها عليهم ولا تنفعهم ولا تضرهم .

وتقديم التسبيح على الحمد إشارة إلى أن تنزيه ا عما لا يليق به أهم من إثبات صفة الكمال له لأن التنزيه تمهيد لإدراك كمالاته تعالى . ولذلك كانت الصفات المعبر عنها بصفات السلوب مقدمة في ترتيب علم الكلام على صفات المعاني (عندنا) والصفات المعنوية